مقدِّمـــة

لقد جاءت الحداثة النقدية لتعيد النظر في مختلف الخرائط النقدية السابقة عنها، ونعني بذلك أن التفكيك ما هو إلا موضة نقدية حاول أصحابها اجتثاث تاريخانية النقد التقليدي في صورته الجافة، إيماناً من منظري التفكيك أن المناهج التقليدية من تاريخانية واجتماعية ونفسية وتكاملية آن الأوان للإعلان عن أفولها؛ لأن هذه المناهج اهتمت بالمحيط الخارجي لعالم النص الأدبي، حيث كانت شديدة الاحتفاء بالظروف والملابسات المتعلقة بشخصية المؤلف مهملة بذلك مختلف الاستراتيجيات الجمالية المتعلقة بالنص الإبداعي من حيث هو كتلة صماء تبوح بأكثر من معنى أو دلالة.

ومثلما انتقد أقطاب التفكيك كلاسيكية المناهج التقليدية، انتقدوا أيضاً المنهج البنيوي والسميائي والأسلوبي، وهي مناهج نصانية احتفت بجماليات النص الأدبي من حيث هو كتلة من العلاقات المشعة بلا نهائية الدلالة، فكان التركيز منصباً على العلاقات الداخلية للوحدات والمفردات والمكونات، وفي ضوء النظر إلى هذه العلاقات الداخلية يتحول النص الأدبي إلى شبكة من الدلالات والإيحاءات. غير أن هذه المناهج النصانية قد بالغت في النظر إلى النص الأدبي من حيث هو داخل، فانتقد منظرو التفكيك مثل هذه المبالغات النقدية واعتبروا البنيوية وما أعقبها من موضات نقدية مناهج لا تفي بالغرض المقصود في إنتاج الدلالة، وأطلق دعاة التفكيك العنان لسلطة الغياب وذلك من خلال البحث اللامنتهي على المعنى المؤجل.

وإذا كانت المناهج التقليدية قد انتصرت إلى قطب الخارج في عملية التأسيس بجماليات النصوص الأدبية، فإن البنيوية انتصرت إلى قطب الداخل،

والشيء نفسه ينسحب على السيميائية والأسلوبية والتفكيكية أيضاً، والمتأمل في الأسس النظرية للنقد التفكيكي فإنه يلحظ وفاء دعاة التفيكيك بمثل هذا التأسيس النظري في الانتصار إلى قطب الداخل، أما على المستوى الإجرائي فقد أعلنت التفكيكية تمردها الحر عن سلطة الداخل، حيث أطلقت العنان لسلطة الذات في القول والتقول على جماليات النصوص الأدبية، ومن ثمة أصبحنا نشعر بتعارض كبير بين التفكيكية والمناهج الأخرى سواء أكانت تقليدية أم نصانية، هذا من جهة ومن جهة أخرى نشعر بالتعارضات نفسها بين التفكيكية في مستواها النظري والتفكيكية في مستواها الإجرائي.

يأتي كتابنا هذا الموسوم بـ: «**التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر، دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية**» ليعيد النظر في مثل هذه التعارضات، وذلك من خلال جمع شتاتها من مختلف الكتب التي حظيت فيها التفكيكية بعناية فائقة، والهدف من ذلك هو بلورة تلك المفاهيم والمبادئ الغامضة التي قامت عليها استراتيجية النقد التفكيكي، ثم توضيح مقولات النقد التفكيكي وتوصيفها توصيفاً نقدياً، ثم العودة بمدلولات تلك المقولات إلى أصولها الفلسفية واللسانية، ومن دون إسدال ستار النسيان على رواج التفكيكية في كتابات النقاد الغربيين والعرب المعاصرين، ومناقشة مدى نجاح هذه التجربة النقدية في الساحة النقدية الغربية والعربية.

ولتحقيق الأهداف السالفة الذكر عملنا على هندسة وتصميم ما توفر لدينا من مقولات نظرية في خطة منهجية، كان إلزاما علينا تقسيمها إلى قسمين كبيرين، صدرناهما بمدخل وذيلناهما بخاتمة احتوت على مجمل النتائج المتوصل إليها.

تعرضنا في المدخل إلى ماهية وأصول النقد التفكيكي في الخطاب الفلسفي واللساني، حيث وقفنا عند مختلف المبادئ الأساسية التي قامت عليها التفكيكية، بوصفها قاسماً مشتركاً بين حقل النقد التفكيكي وحقل النقد اللساني.

تحدثنا في القسم الأول عن المنطلقات والأسس النظرية لاستراتيجية النقد التفكيكي، حيث تطرقنا إلى ثورة التفكيكية على العقل وكذا نقد سلطة الحضور والثورة على البنيوية، لنتحدث فيما بعد عن مختلف المقولات النظرية للنقد التفكيكي والتي تمثلت في موت المؤلف وسلطة القارئ والاختلاف وتناسل المعنى واستراتيجية التناص والكتابة، فقد تحولت هذه المبادئ إلى أسس نظرية اختزلت لنا معادلة النقد التفكيكي في تطلعها إلى الرحيق الجمالي لعالم النصوص الأدبية.

أما القسم الثاني من هذا الكتاب فقد خصصناه لرواج وإشكالات النقد التفكيكي، حيث قسمناه إلى محطتين كبيرتين، تحدثنا في المحطة الأولى عن ذيوع التفكيكية في كتابات النقاد الغربيين والعرب المعاصرين، ولم يكن ذلك من باب استعراض تلك الأعمال فحسب، بل عملنا على مناقشتها وتمحيصها ونقدها، لاسيما الدراسات العربية التي اعتنقت موضة التفكيك. وفي المحطة الثانية تحدثنا عن مختلف الإشكالات النظرية والتطبيقية لعالم النقد التفكيكي في صورته الغربية والعربية ومن دون إسدال ستار النسيان على تصريحات النقاد الغربيين المؤسسين لاستراتيجية التفكيك، وهي تصريحات منددة بالتفكيكية ممارسة وتنظيراً.

وفيما يخص المناهج التي اعتمدنا عليها في تحليل بنات أفكار هذا الكتاب، نذكر: المنهج التاريخي بوصفه المنهج الأنسب لسرد مختلف المعلومات النظرية المتعلقة بالتفكيك وأقطابه، كما اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي وذلك

في شرحنا وتحليلنا لمختلف المقولات والآراء النقدية. وطعّمنا هذه المناهج النقدية بروح نقدية خاصة، انتقدنا بموجبها ما يجب انتقاده وقبلنا بروح علمية وموضوعية ما يجب قبوله.

ومن المصادر والمراجع التي رافقتنا في طرحنا لأفكار هذا الكتاب نذكر، كتاب: **في معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة** لـ: عبد الله إبراهيم. وكتاب **المطابقة والاختلاف، المركزية الغربية وإشكالية التكون حول الذات** لـ: عبد الله إبراهيم. و**المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك** لـ: عبد العزيز حمودة. وكتاب **الخطيئة والتكفير** لـ: عبد الله محمد الغذامي. **ونقاد الحداثة وموت القارئ** لـ: عبد الحميد إبراهيم. و**البنيوية وما بعدها** لـ: جونس ستروك. **والتفكيكية، النظرية والتطبيق** لـ: كريستوفر نورس.

وأحب أن أشير في خاتمة هذا التقديم إلى ملاحظة أساسية تتعلق بصعوبات الخوض في مسائل هذا الكتاب، فلا نغالي إن قلنا إن مسألة النقد التفكيكي من المسائل الغامضة والمعقدة جداً، وما كتب في هذا المجال لا يفي بالغرض المقصود؛ لأن النقد التفكيكي لا يعدو في الكثير من الأحيان كونه نقداً فلسفياً، واجتثاث أفكار التفكيك ومقولاته من تلك الكتب الفلسفية ليس بالأمر الهين، فقد واجهتنا صعوبات جمة في إنجاز هذا الكتاب منها: غموض المادة النقدية المتوفرة لدينا، وكذا غموض ما ترجم من هذه المادة وعدم انتظامها في طابع منهجي منظم. هذا ناهيك عن التعارضات الموجودة بين أقطاب التفكيك في تأسيسهم لتلك المقولات النظرية، والحق أن هذه الصعوبات انقشع معظم ضبابها بفعل القراءة المتعددة والهادفة إلى توضيح تلك الشوارد النقدية، فكان عملنا ماثلاً في هذا الكتاب الذي نأمل أن يكون مفيداً لجمهور القراء. ومن اجتهد وأصاب فله أجران ومن أجتهد ولم يصب فله أجر واحد.